الفصل الرابع

الجناس الناقص

- زيادة حرف فى الأول بين مفردين.
- زيادة حرف فى الأول بين جمع ومفرد.
- قيمة الجناس المزيد فى أوله.
- زيادة حرف فى الوسط بين مفردين.
- زيادة حرف فى الوسط بين فعلين
- زيادة حرف فى الآخر بين مفردين.
- زيادة حرفين فى الأول بين مفردين.
- زيادة حرفين وسط الكلمة بين مفردين.
- زيادة حرفين آخر الكلمة بين مفردين.
- زيادة ثلاثة حروف فى الوسط بين جمع ومفرد.
- منزلة الجناس المطرف والمذيل.

الجناس الناقص

إذا اختلف ركنا الجناس فى أعداد الحروف سمى ناقصاً؛ لنقصان أحد اللفظين عن الآخر، ويأتى ذلك على ضربين:

أحدهما – أن يختلفا بزيادة حرف واحد فى أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، فزيادة حرف فى الأول كما فى قوله تعالى: ﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾ [القيامة: ٢٩ – ٣٠].

والزيادة فى الوسط كما فى قولهم جَدّى جَهْدى أى حظى على قدر ما بذلت من جهد، والزيادة فى الآخر كما فى قول أبى تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

بزيادة ميم فى آخر (عواص): وباء فى (قواض).

وربما سمى هذا القسم مطرفاً.

الثانى: أن يختلف الركنان بزيادة أكثر من حرف واحد كقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفا ءُ من الجوى بين الجوانح

بزيادة نون، وحاء على كلمة (الجوى) وربما سمى هذا الضرب مذيلا[1] وقد ذكر سعد الدين التفتازانى أن الناقص (ستة أقسام؛ لأن الزائد إما حرف واحد، أو أكثر، وعلى التقديرين فهو إما فى الأول، أو فى الوسط أو فى الآخر)[2].

وقد ظفرت بأمثلة من هذه الأضرب فى (أساس البلاغة) تتمثل فيما يأتى:

---

(١) الإيضاح بتصرف/ ٨١ – ٨٣ (مع البغية).

(٢) المطول / ٤٤٧.

زيادة حرف فى الأول بين مفردين :

من ذلك ما أشار إليه من الجناس بين (الغابة) و(السغابة) وهى المجاعة[١] فيما جاء فى قوله : « ... وبه سغب، ومسغبة، وسغابة : جوع مع تعب، وهو سغبان، ويوم ذو مسغبة وتقول لو بقى الليث فى الغابة، لمات من السغابة »[٢] بزيادة (سين) فى أول (السغابة) ومعنى عبارة الجناس – كما هو ظاهر – أنه لابد من السعى فى طلب الرزق، والمشى فى مناكب الأرض، وإلالمات القاعد عن طلب الرزق من الجوع، على حد قول القائل :

والأُسْدُ لولا فراق الغاب ماقنصت والسهمُ لولا فراق القوس لم يصب

ومن هذا القبيل ما ألمح إليه من التجانس بين (الساحة) و(الكساحة) ماكسح من التراب فألقى بعضه على بعض[٣] وذلك فى قوله « كسح البيت بالمكسحة، ورمى بالكساحة، وتقول فلان نقى الساحة قليل الكساحة »[٤] بزيادة (كاف) فى أول الكلمة الثانية، يريد أنه فقير لا يملك شيئاً .

ومن هذا النهج ما أورده بين (مالك) و(جمالك) فى قوله : « فلان يعامل الناس بالجميل، وجامل صاحبه مجاملة... وتقول إذا لم يجملك مالك، لم يجد عليك جمالك »[٥] بزيادة (جيم) فى أول الكلمة الثانية، ومعنى عبارة الجناس أن الفقير وإن كان جميلاً، لابأبه له الناس، ولا يحفلون به، أما الغنى حتى ولو كان دميما، فإن غناه يجعله فى نظر الناس جميلاً .

ومنه ما ذكره بين (ديك) و(وديك) أى دسمة[٦] فيما جاء فى قوله : « سمعت صياح الديوك، والدّيكة، وتقول لفلان ديك ودجاجةٌ وديكٌ أى ذات وَدَك[٧] بزيادة واو فى أول الكلمة الثانية .

---

(١) المعجم الوجيز (سغب) .
(٢) أساس البلاغة (سغب) .
(٣) لسان العرب ٥ / ٣٨٧٢ (كسح) .
(٤) أساس البلاغة (كسح) .
(٥) المصدر نفسه (جمل) .
(٦) المعجم الوجيز (ودك) .
(٧) أساس البلاغة (ديك) .

وقد سمى (السيوطى) هذا اللون مردوفا[1] وذلك - فيما يبدو - لأن الحرف الزائد فى أول الكلمة تردفه الحروف التالية له، الموجودة خلفه[2] واقتفى أثره فى ذلك صاحب (جواهر البلاغة) عندما قال: «وأما الجناس الناقص، فهو ما اختلف فيه اللفظان فى عدد الحروف، واختلافهما يكون بزيادة حرف فى الأول نحو دوام الحال من المحال، أو فى الوسط نحو جدى جهدى، أو فى الآخر نحو الهوى مطية الهوان، ويسمى الأول مردوفاً، والثانى يسمى مكتنفا، والثالث يسمى مطرفا»[3].

وقد امتدح صلاح الدين الصفدى ما فيه الزيادة فى صدر اللفظ الأول من المتجانسين، وعده أشرف فى الذوق مما زيادته فى أول اللفظ الثانى كما فى قولهم دوام الحال من المحال، ومثل لما زيادته فى الأول بقول المولعين بالشراب النبيذ بغير النَّغَمِ غَمٌّ، وبغير الدَّسَم سُمٌّ، وقول البستى:

أبا العباس لا تحسب بأنى ... لشيبى من حلا الأشعار عار

فلى طبع كسلسال معين ... ذلال من ذرى الأحجار جار

إذا ما أكبت الأدوار زندا ... فلى زند على الأدوار وار[4]

زيادة حرف فى الأول بين جمع ومفرد:

وقد ظفرت ببعض نماذج من هذا الجناس فيما لمحه بين (خلائق) و(لائق) فى قوله «... وهذا أمر لا يليق بك، ولا يليقك أى لا يعلق بك، ولا يحسن، وتقول هذه خلائق غيرها بك لائق»[5].

بزيادة (خاء) فى الكلمة الأولى، والجناس - كما لا يخفى - بين (خلائق) جمع، و(لائق) مفرد.

---

(١) ينظر جنى الجناس/ ١٦.

(٢) ينظر فن الجناس/ ٩٤ والمعجم الوجيز (ردف).

(٣) جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع / ٣٢١.

(٤) جنان الجناس/ ٥٩ - ٦٠.

(٥) أساس البلاغة (ليق).

ومما جاء على هذه الوتيرة ما أشار إليه بين (بوحك) جمع باحة و(صبوحك) ما أكل أو شرب فى الصباح، وذلك فى قوله: «باح السر ظهر يقال باح ما كتمت، وباح الرجل بسرّه، وأعوذ بالله من بوح السر، وكشف الستر... وفى مثل ابنك ابن بوحك يشرب من صبوحك، وهو جمع باحة كساحة وسوح أى الذى ولد فى عراصك...»[1].

بزيادة (صاد) فى أول (صبوحك) والصبوح – كما جاء فى لسان العرب – ما أكل، أو شرب غدوة، وهو خلاف الغبوق[2].

وجاء على هذا المنهاج ما لمع إليه من التجنيس بين (غراسه) جمع (غرس) و(راسه) أى رأسه فى قوله: «هذا وقت الغراس، وهو غرس الشجر، تقول فى حائطه غراس كثيرة، وهى الفسلان جمع غرس... وتقول هذا مسقط راسه، ومكان غراسه»[3] بزيادة (غين) فى أول الركن الثانى للجناس (غراسه) وظاهر أنه بين جمع، ومفرد.

قيمة الجناس المزيد من أوله:

اعتبر الشيخ عبد القاهر الجرجانى هذا الشكل من أشكال الجناس فى المرتبة الثالثة بعد التام، والزائد فى آخره، عند ما قال: «.... فأما ما يقع التجانس فيه على العكس من هذا – يقصد عكس الزائد فى آخره كما فى (عواص عواصم – وذلك أن تختلف الكلمات من أولها كقول البحترى:

بسيوف إيماضها أوجال للأعادى ووقعها آجال

وكذا قول المتأخر:

وكم سبقت منه إلى عوارف ثنائى من تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف لشكرى على تلك اللطائف طائف

---

(١) المصدر نفسه (بوح).
(٢) لسان العرب ٤ / ٢٣٨٩ (صبح).
(٣) أساس البلاغة (غرس).

وذلك أن زيادة (عوارف) على (وارف) بحرف اختلاف من مبدأ الكلمة فى الجملة، فإنه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرف من هذا التخيل فيه، وإن كان لا يقوى تلك القوة، كأنك ترى أن اللفظة أعيدت عليك مبدلا من بعض حروفها غيره، أو محذوفاً منها »[1].

ويضيف الشيخ عبد القاهر مبينا اختلاف درجة التخيل والتوهم بين ركنى الجناس قائلاً: « فالذى يجب عليه الاعتماد فى هذا الفن أن التوهم على ضربين ضرب يستحكم حتى يبلغ أن يصير اعتقادا، وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ، ولكنه شىء يجرى فى الخاطر، وأنت تعرف ذلك، وتتصور وزنه إذا نظرت إلى الفرق بين الشيئين يشتبهان الشبه التام، والشيئان يشبه أحدهما الآخر على ضرب من التقريب فاعرفه »[2].

زيادة حرف فى الوسط بين مفردين:

من ذلك ما أومأ إليه من المجانسة بين (فرصته) و(وفريصته) وهى لحمة فى جنب الإنسان[3] فيما جاء فى قوله: « أصبت فرصتك، وأيامك فرص.... وفلان إن فقدت فرصته، أرعدت فريصته، وهى لحمة فى الجنب ترتعد عند الفزعة »[4] بزيادة ياء فى وسط (فريصته).

ومن هذا النمط ما أورده بين (المؤمل) و(المتأمل) فى قوله: « فلان بحر المؤمل، والمتأمل »[5] بزيادة (تاء) فى وسط (المتأمل) وفى العبارة مدح بالكرم فهو كالبحر يقصده المؤملون، الذين يتوقعون عطاءه، ومدح بصباحة الوجه، وإشراقه. ومنه ما لمح إليه بين (مرغوثة) قد نفدت، و(مغوثة) غوث، فى قوله: « ومن المجاز رجل مرغوث كثر عليه السؤال حتى نفد ما عنده، وفلان أمواله مرغوثة فما لأحد عنده مغوثة »[6] بزيادة الراء فى حشو مرغوثة، ومعنى العبارة

---

(١) أسرار البلاغة / ١٨.
(٢) نفسه / ١٩.
(٣) أساس البلاغة (فرص).
(٤) المصدر نفسه والموضع.
(٥) نفسه (أمل).
(٦) نفسه (رغث).

– كما هو واضح من كلامه – أن هذا الرجل نفدت أمواله فى إغاثة السؤّال المحتاجين، حتى لم يبق عنده غوث، وعون لأحد.

ومنه كذلك ما لوح إليه بين (مهولا) فيه هول، و(مأهولا) فى قوله: «وهوّل عندى الأمر جعله هائلا... ومن المجاز مكان مهول فيه هول، وتقول هذا الأمر لو لم يكن مهولا، لكان مأهولا»[1] بزيادة (همزة) فى وسط (مأهولا).

ومنه ما ذكره بين (مقول) و(معقول) فى قوله «مالفلان مقول، ولا معقول»[2] بزيادة (عين) فى حشو (معقول).

ومن زيادة حرف فى الوسط أيضاً ما ذكره من التجانس بين (الإهاب) الجلد، و(الإرهاب) الإزعاج فيما جاء فى قوله: «وأرهبته، ورهبته، واسترهبته أزعجت نفسه بالإخافة، وتقول يقشعر الإهاب، إذا وقع منه الإرهاب[3] بزيادة راء فى وسط (الإرهاب).

ومنه ما ألوى إليه بين (مبوس) مقبل و(محبوس) فى قوله: «باس له الأرض بوسا، وتقول اليوم بساطك مبوس، وغداً أنت محبوس»[4] بزيادة (حاء) وسط (محبوس) ومعنى العبارة – كما لا يخفى – أنت اليوم فى عزة، ومنعة، وغدا فى ذلة وهوان؛ لأن الدهر قلب، والأيام دول.

ومن هذا الضرب ما أورده بين (الجدا) و(الجدوى) فى قوله: «وقع الجدا، وهو المطر العام، وأجداه أعطاه، وهو عظيم الجدا، والجدوى»[5] بزيادة (واو) فى حشو (الجدوى).

زيادة حرف فى الوسط بين فعلين:

وقد وجدت ذلك الضرب فى قوله: «ثياب مبخرة مطيبة، وتبخر بالبخور، وفلان يتبخر، ويتبختر»[6] بزيادة (تاء) فى حشو الفعل الثانى.

---

(١) نفسه (هول). (٢) نفسه (عقل). (٣) نفسه (رهب).
(٤) نفسه (رهب). (٥) نفسه (جدى). (٦) أساس البلاغة (بخر).

زيادة حرف فى الآخر بين مفردين:

وقد وجدت من هذا اللون ما جاء فى قوله: «أتى إليه إحسانا إذا فعله، ووعد الله ماتى، وأتيت الأمر من ماتاه، وماتاته أى من وجهته»[1] جانس بين (ماتاه) و(ماتاته) بزيادة (تاء) قبل الضمير فى الكلمة الأخيرة، وقد سمى الخطيب هذا الضرب مطرفا.

* * *

(١) أساس البلاغة (أتى).

المزيد بحرفين

والمزيد بحرفين، أو الناقص حرفين فى أحد ركنيه إما أن يكون بحرفين فى الأول، أو الوسط، أو الآخر.

زيادة حرفين فى الأول بين مفردين:

وقد وجدت ذلك فيما أورده من التجانس بين (فوفة) و(مكفوفة) فى عجز قوله «شعر كأنه أفواف الوشى... وبرد مفوف أصله من الفوف، وهو نقط بياض فى أظفار الأحداث الواحدة فوفة، ومن المجاز رأيت كفا عن الخير مكفوفة، لا تعطى أحدا أبداً فوفة»(١).

بزيادة (ميم) و(كاف) فى (مكفوفة) ومن معانى الفوفة أيضاً الحبة البيضاء فى بطن النواة، أو القشرة على النواة، وهى القطمير(٢) كما فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

قال ابن قتيبة عن القطمير «هو الفوفة التى فيها النواة، يريد ما يملكون من شىء»(٣).

زيادة حرفين وسط الكلمة بين مفردين:

وقد وجدت ذلك فيما أورده من المجانسة بين (الكوع) و(الكرسوع) فى قوله: «وفلان لا يفرق بين الكوع، والكرسوع، الكوع من ناحية الإبهام، والكرسوع من ناحية الخنصر»(٤) بزيادة الراء، والسين فى الكلمة الأخيرة.

زيادة حرفين آخر الكلمة بين مفردين:

وقد ظفرت من ذلك الضرب بجناس أشار إليه بين (عريا) و(عريان) فى

---

(١) نفسه (فوف).
(٢) لسان العرب ٥ / ٣٤٨٦ (فوف).
(٣) تأويل مشكل القرآن / ١٣٨.
(٤) أساس البلاغة (كوع).

قوله: «وركبت الفرس عريا، وركبنا الخيل أعراء، وتقول رأيت عريا تحت عريان»[1] بزيادة ألف، ونون آخر (عريان) ومعنى العبارة رأيت فرسا عريا من سرجه تحت راكب عريان من ثيابه، جاء فى لسان العرب «دابة عرى، وخيل أعراء، ورجل عريان، وامرأة عريانة إذا عريا من أثوابهما»[2].

زيادة ثلاثة حروف فى الوسط بين جمع ومفرد:

وجدت هذا الشكل فيما أورده بين (كيسه) و(كراريسه) فى قوله: «فى هذا الكراسة عشر ورقات، وهذا الكتاب عدة كراريس، وقرأت كراسة من كتاب سيبويه، وتقول التاجر مجده فى كيسه، والعالم مجده فى كراريسه»[3] لا يخفى أن اللفظ الثانى زاد على الأول ثلاثة حروف فى حشوه الراء، والألف، والراء.

منزلة الجناس المطرف والمذيل:

علمنا مما سلف ذكره أن الشيخ عبد القاهر الجرجانى أشاد بالجناس التام، ورفع ذكره، وجعله فى المرتبة العليا التى بلغت الغاية فى الحسن، وجعل الذى يليه فى الحسن الناقص الذى جاءت الزيادة فى آخره عندما قال: «... فمما يظهر ذاك فيه ما كان نحو قول أبى تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحترى:

لئن صدفت عنا فربت أنفس صواد إلى تلك الوجوه الصوادف

وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من (عواصم) والباء من (قواضب) أنها هى التى مضت، وقد أرادت أن تجيئك ثانية، وتعود

---

(١) نفسه (عرى).

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٩٢٠ (عرا).

(٣) أساس البلاغة (كرس).

إليك مؤكدة، حتى إذا تمكن فى نفسك تمامها، ووعى سمعك آخرها، انصرفت عن ظنك الأول، وزلت عن الذى سبق لك من التخيل، وفى ذلك ماذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها، وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال »[1].

وقد سبق فى مطلع الحديث عن الجناس الناقص الذى نحن بسبيله أن الخطيب القزوينى سمى ما كانت الزيادة فيه حرفا فى الآخر مطرفا، وما كانت الزيادة فيه حرفين فى الآخر مذيلاً، وقد اقتفى سعد الدين التفتازانى أثر الشيخ عبد القاهر، واستلهم كلماته وهو يمتدح المزيد فى آخره فقال « ووجه حسنه أنه يوهم قبل ورود آخر الكلمة من (عواصم) أنها هى الكلمة التى مضت، وإنما أتى بها تأكيداً للأولى حتى إذا تمكن آخرها من نفسك، ووعاها سمعك انصرف عنك هذا التوهم، وحصل لك فائدة بعد اليأس منها »[2].

* * *

(١) أسرار البلاغة / ١٨ .
(٢) المطول / ٤٤٨ .